

الباب الأول

فيما اخترناه من شعر صريع الغواني مسلم بن الوليد

قال مسلم:

وَمَلَّتْ طِمَّ الْأَمْوَاجُ يَرْمِي عُبَابُهُ
بِجَرَجَرَةٍ الْآذَى لِلْعَبْرِ فَالْعَبْرِ

ملتطم الأمواج يريد البحر، والعباب كثرة الماء، والجرجرة صوت الماء والآذى الموج، والعبير حافة النهر أو البحر، قال النابغة:

فما الفرات إذا هب الرياح له ترمى أواذيه العبرين بالزبد

يقول: ورب بحر ملتطم الأمواج ركبته صفته كذا وكذا.

مُطْعَمَةٌ حَيْتَانُهُ مَا يُغْبِهَا
مَأْكَلٌ رَادٍ مِنْ غَرِيقٍ وَمِنْ كَسْرِ

يقول: إن حيتانه تأكل كل يوم من بقايا الغرقى والسفن المتكسرة، يصفه بالهول.

إِذَا اعْتَنَقَتْ فِيهِ الْجَنُوبُ تَكَفَّاتُ
جَوَارِيهِ أَوْ قَامَتْ مَعَ الرِّيحِ لَا تَجْرِي

يقول: إذا هبت ريح الجنوب في هذا البحر اضطربت المراكب التي فيه فصارت أعاليها أسافل، أو وقفت تلك المراكب لا تسير ولا تبرح، وذلك من هول البحر وشدته.

كَأَنَّ مَدَبَ الْمَوْجِ فِي جَنَابَتِهَا
مَدَبُ الصَّبَا بَيْنَ الْوَعَاثِ مِنَ الْعُفْرِ

العفر: جمع أعفر، وهو الكثيب الأحمر، والوعاث: أى اللينة، يقول: كأن مدب الريح فى جنابات السفينة وقد ارتفع الموج حولها، مدب الريح بين كشان الرمال اللينة، فالريح تجرى الرمل كذا وكذا.

كَشَفَتْ أَهْوَيلَ الدُّجَى عَنْ مَهُولِهِ
بِجَارِيَةٍ مَحْمُولَةٍ حَامِلٍ بِكْرِ

يقول: كشفت أهوال الليل عن هول ذلك البحر بجارية أى: بسفينة،

ومحمولة: أى يحملها الماء، وحامل: أى الناس فى أحشائها فكأنها حامل بهم، وجاء فى بعض رسائل الأدباء هذه العبارة (هال عليها البحر فسقاها كأس الحمام وأولدها قبل التمام)، وبكر أى أنها لم تتركب قبل، يريد أنه قطع ذلك البحر وأهواله قاصداً رجلاً مدحه.

لَطَمَتْ بِخَدَيْهَا الْحَبَابَ فَأَصْبَحَتْ مُوقِفَةً الدَّايَاتِ مَرْتُومَةً النَّحْرِ
الحباب: الموج، وموقفة الدايات أى: مخططة الظهر يقول: إن الماء قد جعل فيها خطوطاً من الخضرة، ومرتومة النحر أى فى نحرها بياض وذلك أن أصحاب السفائن يجعلون فى صدر السفينة شيئاً أبيض إما جيراً وإما محاراً.

إِذَا أَقْبَلْتُ رَاعَتْ بِقُنَّةٍ قَرْهَبٍ وَإِنْ أَدْبَرْتُ رَأَتْ بِقَادِمَتَى نَسْرٍ
يقول: إذا أقبلت إليك السفينة أفزعتك برأس ثور وحشى مسن شبه به السلوقية التى يقعد عليها الراس فى صدر المركب، وإذا أدبرت عنك راعتك بقادمتى نسر، أى أعجبتك بمقاذف كأنهما جناحا نسر.

تَجَافَى بِهَا النُّوتَى حَتَّى كَانَمَا يَسِيرُ مِنَ الْإِشْفَاقِ فِي جَبَلٍ وَعُرٍ
تجافى أى تنحى عن الحجارة التى تحت الماء والإشفاق الخور.
تَخَلَّجُ عَنْ وَجْهِ الْحَبَابِ كَمَا انْتَشَتْ مُخْبَأَةٌ مِنْ كِسْرِ سِتْرِ إِلَى سِتْرِ
تخلج أى تنحى عن مواضع الحجارة فى البحر لثلا تصاب كما تنحت جارية مخبأة من كسر ستر إلى ستر، والكسر ما عن يمين الخباء وشماله وهما كسران.

أَنَافَ بِهَادِيهَا وَمَدَّ رِمَامَهَا شَدِيدُ عِلَاجِ الْكَفِّ مُعْتَمِلِ الظَّهْرِ
الهادى العنق، والمعتمل العامل لنفسه، قال القائل:

إِنَّ الْكَرِيمَ وَأَيُّكَ يَعْتَمِلُ إِنَّ لَمْ يَجِدْ يَوْمًا عَلَى مَنْ يَتَكَلَّمُ
يقول أشرف بعنقها ومد رمامها نوتى شديد علاج الكف معتمل الظهر أى ظهره عامل إلى جذب الحبال مع يديه.

كَأَنَّ الصَّبَا تَحْكِي بِهَا حِينَ وَأَجْهَتْ
نَسِيمَ الصَّبَا مَشَى الْعُرُوسِ إِلَى الْخِذْرِ

شبه سير السفينة فى الرفق واللين بسير العروس .

يَمَمْنَا بِهَا لَيْلَ التَّمَامِ لِأَرْبَعِ فَجَاءَتْ لِسِتٌ قَدْ بَقِينَ مِنَ الشَّهْرِ
يقول قصدها ليل التمام لأربع عشرة مضت من الشهر فبلغت الممدوح
لست ليال بقين من الشهر .

فَمَا بَلَّغَتْ حَتَّى أَطْلَاحَ خَفِيرِهَا وَحَتَّى أَتَتْ لَوْنَ اللَّحَاءِ مِنَ الْقَشْرِ
يريد ما وصلت حتى كل خفيها أى حافظها ومل من التعب، وحتى أتت
أى صارت، واللحاء القشر الرقيق الذى دون القشر الغليظ .

وَحَتَّى عَلَاهَا الْمَوْجُ فِي جَنَابَتِهَا بِأُرْدِيَةٍ مِنْ نَسِجٍ طُحْلِبِهِ خُضِرُ
يقول وما بلغت أيضاً حتى كساها الموج فى جنباتها أردية خضراء، من
طحلب .

تَوْمٌ مَحَلٌّ الرَّاعِيْنَ وَحَيْثُ لَا تُدَادُ إِذَا حَلَّتْ بِهِ أَرْحُلُ السَّفْرِ
أرحل جمع رحل وهو إكاف الجمل، يقول إن هذا الممدوح الذى قصده لا
يمنع أحداً من رفقاته ولا يجفى أى لا يستخف بأحد بل يكرم الضيفان ويعطى
الوافدين والطراق .

رَكِبْنَا إِلَيْهِ الْبَحْرَ فِي مُؤَخِّرَاتِهِ فَأَوْفَتْ بِنَا مِنْ بَعْدِ بَحْرٍ إِلَى بَحْرٍ
وقال أيضاً ينعت الخمر :

مُعْتَقَةٌ لَا تَشْكِي وَطَأَ عَاصِرٍ حَرُورِيَّةٌ فِي جَوْفِهَا دَمُهَا يَغْلِي
يقول إنما سالت من العنب بلا عصر، وقوله حرورية شبهها فى الشجاعة
برجل حرورى يغلى دمه ليفور .

شَقَقْنَا لَهَا فِي الدَّنِّ عَيْنًا فَأَسْبَلَتْ كَمَا أَسْبَلَتْ عَيْنُ الْخَرِيدِ بِلَا كُحْلِ

يقول شققنا لها فى الدن عينا ففاضت كما فاضت عين الخريدة .

كَأَنَّ حَبَابَ الْمَاءِ حِينَ يَشْجُهَا لَأَلِيٌّ عُقْدٌ فِي دِمَالِجٍ أَوْ حِجْلِ

الحجل الخلخال .

كَأَنَّ فَنِيْقًا بَارِلًا شُكَّ نَحْرُهُ إِذَا مَا اسْتَدَرَّتْ كَالشُّعَاعِ عَلَى الْبَزْلِ
يقول كأن صبيها إذا ثقت هذه الخاية كصبيب دم انبعث من نحر جمل فنيق
أى أبيض حين نحر، والنحر أن يطعن فى ثغرتة وهى النقيرة فى أصل حلقة .
كَأَنَّ ظَبَاءَ عُمُكًا فى رِيَاضِهَا أَبَارِيْقُهَا أَوْجَسْنَ قَعْقَعَةَ النَّبْلِ
وَدَارَتْ عَلَيْنَا الْكَأْسُ مِنْ كَفِّ طِفْلَةٍ مُبْتَلَةٌ حَوْرَاءَ كَالرَّشِيشِ الْطِفْلِ
وَحَنٌّ لَنَا عُودٌ فَبَاحَ بِسِرْنَا كَانَ عَلَيْهِ سَاقَ جَارِيَةٍ عُطِّلِ
باح بسرنا أى أطربنا فأظهر كل واحد منا ما كان يكتم من الشوق إلى حبيبته .
تُضَاحِكُهُ طَوْرًا وَتُبْكِيهِ تَارَةً خَدَلَجَةٌ هَيْفَاءُ ذَاتُ شَوَى عَبْلٍ
الخدلجة المرأة الحسنة الخلق .

إِذَا مَا اسْتَهَيْنَا الْأَقْحُوَانَ تَبَسَّمَتْ لَنَا عَنْ ثَنَائِنَا لَا قِصَارَ وَلَا تُغْلِ
الشعل التى يدخلها اعوجاج .
وَأَسْعَدَهَا الْمَزْمَارُ يَشْدُو كَأَنَّهُ حَكَى نَائِحَاتِ بَنَى يَبْكِينَ مِنْ تُكْلِ
أَقَامَتْ لَنَا الصَّهْبَاءُ صَدْرَ قَنَاتِهَا وَمَالَتْ عَلَيْنَا بِالْخَدِيعَةِ وَالْخُتْلِ
أى قومت لنا أمرها فاستقام لنا شربها، ومالت علينا بالخديلة، أى خدعتنا
فى عقولنا .

إِذَا مَا عَلَتْ مِنَّا ذُوَابَةٌ شَارِبٍ تَمَشَّتْ بِهِ مَشَى الْمُقِيدِ فى الْوَحْلِ
وقال أيضًا :

إِلَيْكَ أَمِينُ اللَّهِ ثَارَتْ بِنَا الْقَطَا بَنَاتُ الْفَلَآ فى كُلِّ مِثٍ مُسَرَّدٍ
الميث اللين من الأرض، ومسرود متابع .
أَخَذَنَ السَّرَى أَخَذَ الْعَنِيفِ وَأَسْرَعَتْ خُطَاهَا بِهَا وَالنَّجْمُ حَيْرَانٌ مُهْتَدٍ
أخذن أى النوق .

فَلَمَّا انْتَضَى اللَّيْلُ الصَّبَاحُ وَصَلَتْهُ بِحَاشِيَةٍ مِنْ فَجْرِهِ الْمُتَوَرِّدِ
يريد أنهم وصلوا سير الليل بسير النهار .

لَيْسَنَ الدُّجَى حَتَّى نَضَتْ وَتَصَوَّبَتْ هَوَادَى نُجُومِ اللَّيْلِ كَالدَّخْوِ بِالْيَدِ
 حَتَّى نَضَتْ وَتَصَوَّبَتْ يَعْنِي النُّجُومُ تَصَوَّبَتْ إِلَى الْغَرْبِ كَأَنَّهَا تَدْفَعُ بِالْيَدِ .
 يَكُونُ مَقِيلُ الرِّكْبِ فَوْقَ رِحَالِهَا إِذَا مَنَعَتْ لِمَسِّ الْحَصَى كُلُّ صَيْخَدٍ
 يَرِيدُ أَنْ الرِّكْبَ يَنَامُونَ فَوْقَ ظُهُورِ تِلْكَ النُّوْقِ وَلَا يَنْزِلُونَ عَنْهَا مِنْ كَدِّهِمْ فِي
 صَمِيمِ الْقَائِلَةِ وَالصَّيْخَدِ شِدَّةِ الْحَرِّ .

وَقَاطِعَةُ رِجْلِ السَّبِيلِ مَخُوفَةٌ كَأَنَّ عَلَى أَرْجَائِهَا حَدَّ مَبْرَدٍ
 يَقُولُ وَرَبِّ مَفَازَةٍ قَاطِعَةٍ رِجْلَ السَّبِيلِ أَيْ لَا يَدْخُلُهَا أَحَدٌ فَكَأَنَّهَا تَقْطَعُ عَنْ
 نَفْسِهَا أَرْجَلَ النَّاسِ .

عَزُوفٍ بِإِنْفَاسِ الرِّيحِ أَيْيَّةً عَلَى الرِّكْبِ تَسْتَعْصِي عَلَى كُلِّ جَلْعَدٍ
 أَرَادَ أَنْ الرِّيحُ تَصُوتُ فِي تِلْكَ الْفَلَاةِ لِانْخِرَاقِهَا وَاتْسَاعِهَا .
 يُقَصِّرُ قَابَ الْعَيْنِ فِي فَلَوَاتِهَا نَوَاشِزُ صَفْوَانٍ عَلَيْهَا وَجَلَمَدٍ
 قَابُ الْعَيْنِ أَيْ مَدَ الْبَصَرِ وَنَوَاشِزُ صَفْوَانٍ أَيْ كَوَى مُرْتَفَعَةً مِنْ صَفْوَانٍ يَرِيدُ أَنَّهُ
 إِذَا بَسَطَ لِحْظَهُ وَمَدَّهُ فِي تِلْكَ الْفَلَاةِ ارْتَفَعَ أَمَامَهُ جَبَلٌ لَا يَرَى مَا وَرَاءَهُ مِنَ الْأَرْضِ
 وَلَا يَعْرِفُ مَا يَحْجُبُ .

مُؤَرَّرَةٌ بِالْأَلِ فِيهَا كَأَنَّهَا رِجَالٌ قُعُودٌ فِي مَلَأٍ مُعْضَدٍ
 يَقُولُ إِنَّهَا قَدْ لَبَسَتْ الْأَلَّ فِي أَسَافِلِ جِبَالِهَا وَبَقِيَتْ قَنَّهَا فَظَهَرَتْ كَأَنَّهَا رِجَالٌ
 قُعُودٌ فِي مَلَأٍ بَيَضٍ قَدْ بَدَتْ رِءُوسُهُمْ مِنْهَا .

تَنَاولْتُ أَقْصَاهَا إِلَيْكَ وَدُونَهُ مَقْصُؤٌ لِأَعْنَاقِ النَّجَاءِ الْعَمَرَدِ

مَقْصُؤٌ أَيْ مَقْطَعٌ لِأَعْنَاقِ النَّجَاءِ . وَقَالَ أَيْضًا :

أَصْبَحْتُ كَالثَّوْبِ اللَّيْسِ قَدْ اخْلَقْتُ جَدَّاتُهُ مِنْهُ فَعَادَ مُدَا لَا
 وَبَقِيْتُ كَالرَّجُلِ الْمُدْلَى عَقْلُهُ أَشْكُو الزَّمَانَ وَأَضْرِبُ الْأَمْثَالَ
 سَأَلْتُ عُذَالِي فَأَبَوْا بِالرُّضَى عَنِّي وَكُنْتُ أَحَارِبُ الْعُذَالََا
 وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّهُ مَا مِنْ فِتْنَى إِلَّا سَيِّدَلُ بَعْدَ حَالٍ حَالَا

وقال أيضاً:

سَلْ لَيْلَةَ الْخَيْفِ هَلْ أَمْضَيْتُ آخِرَهَا
بِالرَّاحِ تَحْتَ نَسِيمِ الْخُرْدِ الْغِيدِ
شَجَجْتُهَا بِلُعَابِ الْمَزْنِ فَاغْتَرَلْتُ
نَسْجِينَ مِنْ بَيْنِ مَحْلُولٍ وَمَعْقُودِ

وقال أيضاً:

أَنَافَ بِهِ الْعَلْيَاءَ يَحْيَى وَجَعَفَرُ
فَلَيْسَ لَهُ مِثْلٌ وَلَا لَهُمَا مِثْلُ
لَهُمْ هَضْبَةٌ تَأْوِي إِلَى ظِلِّ بَرْمَكٍ
مَنْوُطًا بِهَا الْأَمَالُ أَطْنَابُهَا السَّبَلُ

وقال أيضاً:

وَمَا أَبَقْتَ الْأَيَّامُ مِنِّي وَلَا الصَّبَا
سَوَى كَبِيدٍ حَرَى وَقَلْبٍ مُقْتَلٍ
وَيَوْمٍ مِنَ اللَّذَاتِ خَالَسْتُ عَيْشَهُ
رَقِيًّا عَلَى اللَّذَاتِ غَيْرَ مُغْفَلٍ
فَكُنْتُ نَدِيمَ الْكَأْسِ حَتَّى إِذَا انْقَضَتْ
تَعَوَّضْتُ مِنْهَا رِيْقَ حَوْرَاءَ عَيْطَلٍ

العيطل الخالية من الحلوى.

نَهَانِي عَنْهَا حُبُّهَا أَنْ أُرِيبَهَا
بِسُوءٍ فَلَمْ أَفْتِكْ وَكَمْ أَتَبَّلِ
يَقُولُ لَمْ أَهْجَمْ عَلَيْهَا وَأَفْتِكْ بِهَا وَلَا بَعْدَتْ عَنْهَا، وَرَهَدَتْ فِيهَا كُلَّ الزَّهْدِ.
سَقَتْنِي بِعَيْنَيْهَا الْهَوَى وَسَقَيْتُهَا
فَدَبَّ دَيْبَ الرَّاحِ فِي كُلِّ مَفْصَلٍ
وَأِنْ شِئْتُ أَنْ أَلْتَدَّ نَارَكَتُ جِيدَهَا
فَعَانَقْتُ دُونَ الْجِيدِ نَظْمَ الْقَرْنَفْلِ
نَظْمَ الْقَرْنَفْلِ عَقْدَ يَنْظُمُ مِنْ حُبِّ الْقَرْنَفْلِ وَيَسْمَى السَخَابِ.

وَمَمْكُورَةٌ رُودِ الشَّبَابِ كَأَنَّهَا

قَضِيبٌ عَلَى دِعْصٍ مِنَ الرَّمْلِ أَهْيَلٍ

الممكورة الجارية الضامرة.

خَلَوْتُ بِهَا وَاللَّيْلُ يَقْظَانُ قَائِمٌ
 عَلَى قَدَمٍ كَالرَّاهِبِ الْمُتَبَلِّ
 فَلَمَّا اسْتَمَرَّتْ مِنْ دُجَى اللَّيْلِ دَوْلَةٌ
 وَكَادَ عَمُودُ الصُّبْحِ بِالصُّبْحِ يَنْجَلِي
 تَرَأَى الْهَوَى بِالشَّوْقِ فَاسْتَحْدَثَ الْبُكَاءَ
 وَقَالَ لِلذَّاتِ اللَّقَاءِ تَرَحَّلِي
 فَلَمْ تَرِ إِلَّا عَبْرَةً بَعْدَ عَبْرَةٍ
 مُرْقَرَقَةً أَوْ نَظْرَةً بِتَأْمَلِ

وقال أيضاً:

لَمَّا بَدَأَ الْقَمْرُ اسْتَحْيَتْ فَقُلْتُ لَهَا
 تَكَاتِمِ الْقَمَرَ الْوَجْهَ الَّذِي ضَمِنْتَ
 بَعْضَ الْحَيَاءِ فَإِنَّ الْحُبَّ قَدْ ظَهَرَ
 وَالْوَجْهَ مِنْهَا تَرَى فِي مَائِهِ الْقَمَرَ
 وقال أيضاً:

أَمْتَجِعًا مَرَوْا بِأَنْقَالِ هَمٍّ
 دَعِ الثَّقَلَ وَاحْمِلْ حَاجَةً مَا لَهَا ثِقْلُ
 ثَنَاءٌ كَعَرَفِ الطَّيِّبِ يُهْدَى لِأَهْلِهِ
 وَلَيْسَ لَهُ إِلَّا بَنُو خَالِدِ أَهْلُ
 فَإِنْ أَغْشَى قَوْمًا بَعْدَهُمْ أَوْ أَرْزَهُمْ
 فَكَالْوَحْشِ يَسْتَدْنِيهِ لِلْقَنْصِ الْمَحَلُ

وقال أيضاً:

مُوفٍ عَلَى مُهْجٍ وَالْيَوْمُ ذُو رَهْجٍ
 يَنَالُ بِالرَّفْقِ مَا يَعْيا الرَّجَالُ بِهِ
 لَا يَرْحَلُ النَّاسُ إِلَّا نَحْوَ حُجْرَتِهِ
 لَا يَبْقَى الطَّيِّبُ خَدِيَهُ وَمَفْرِقُهُ
 كَأَنَّهُ أَجَلَ يَسْعَى إِلَى أَمَلٍ
 كَالْمَوْتِ مُسْتَعْجِلًا يَأْتِي عَلَى مَهَلٍ
 كَالْبَيْتِ يُفْضَى إِلَيْهِ مُلْتَقَى السَّبَلِ
 وَلَا يُمَسَّحُ عَيْنِيهِ مِنَ الْكُحْلِ
 أى لا يتطيب ولا يتكحل.